جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد: 4 السنة: 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

منهج المؤرخ أبي شامة في كتابة تاريخ المشرق الإسلامي(ت.665هـ/1267م)

The historian Abu Shama's approach to writing the history of the Islamic East (died in 665 AH / 1267 AD)

مروان بن شوش [1]
benchouch.merouane@ensb.dz

تاريخ الاستلام: 2025/05/19 تاريخ النشر: 2025/09/15
Received: 19/05/2025 published: 15/09/2025

ملخص المقال:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الكتابة التاريخية التي كانت محل اهتمام وعناية المسلمين منذ القرون الأولى؛ لأن لعلم التاريخ أهمية في حياة الشعوب والأمم وله علاقة وثيقة بالعلوم الأخرى، فصنف المؤرخون المسلمون في تاريخ الأمم ، والدول، والمغازي، والسيرة النبوية، والتراجم، والمدن، والدول. وفي هذا المقال سأعالج فيه الكتابة التاريخية في المشرق الإسلامي، والتطرق إلى أحد أشهر المحدثين والمؤرخين في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي الذي كانت له مصنفات علمية متنوعة، وهو المعروف بالمحدث، والمؤرخ أبي شامة المقدسي، ومن خلال هذه الدراسة سأعرف بهذا المؤرخ وخصائص عصره، وأبرز أسباب عنايته بالتاريخ، ومعالم منهجه التاريخي الذي وظفه، وعرّفت بمصنفاته التاريخية، وبيّنت مدى أهميتها وقيمتها العلمية، وطبيعة المواضيع والقضايا التي طرقها في مصنفاته، فقد تضمنت تاريخ المشرق في عصر الحروب الصليبية والحوادث التي عاصرها، كما ذكرت نماذج من الروايات التاريخية التي نقدها وأبدى فيها رأيه وهذا ما يؤكد أهمية مصنفاته في الدراسات التاريخية.

كلمات مفتاحية: أبوشامة، المشرق الإسلامي، النقد التاريخي، الكتابة التاريخية.

Abstract:

This study aims to shed light on the historical writing that has been the subject of interest and attention to Muslims since the first centuries, because the science of history has importance in the lives of peoples and nations and has a close relationship with other sciences. Muslim historians, , have classified the history of nations, states, missions, and the biography of the Prophet, Translations, cities and countries. and countries In this article, I will address historical writing in the Islamic East and address one of the most famous hadith scholars and historians in the seventh century AH and the thirteenth century AD, who had various scientific works and contributed to historical writing. He is known as the hadith scholar, and the historian Abu Shamah al-Maqdisi, and through this study I will become acquainted with this historian. The characteristics of his era, the most prominent reasons for his interest in history, and the features of the historical approach that he employed It introduced his historical works and showed the extent of their importance and scientific value and the nature of the topics and issues that he dealt with in his works, so that they included the history of the East in the era of the Crusades and the events that he witnessed. It also mentioned examples of historical novels that he criticized and expressed his opinion on, and this is what confirms the importance of his works in historical studie

Key words; Abu Shamah; The Islamic Levant; Historical Criticism; Historical writing

[1] – المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر

مقدمة:

حظيت الكتابة التاريخية باهتمام كبير في الحضارة الإسلامية منذ القرون الأولى، فصنف المسلمون كتبا كثيرة حوت مادة تاريخية ثرية تضمنت تاريخ المدن والشعوب والملوك والدول وهذا ما يبين مدى اهتمامهم بالتاريخ؛ لما له من أهميته في تاريخ الفرد والمجتمع، فهو المعين الذي تستخلص منه التجارب والعبر لفهم الحاضر واستشراف المستقبل، وكل ذلك كان سببا في العناية بهذا العلم تدريسا وتصنيفا في مختلف الأعصار والأمصار، وخلال القرن السادس الهجري كانت بلاد الشام قد شهدت تداعي القوى الصليبية وتشتت القوى الإسلامية، ورغم هذه الظروف الحرجة استمر النشاط العلمي، فقد أولى السلاطين والأمراء اهتماما بالعلم والعلماء، وكثُرت المصنفات العلمية، وكان لعلم التاريخ مكانة إذ صُنفت فيه العديد من الكتب. ويروم هذا المقال إلى ابراز إحدى الشخصيات العلمية التي اهتمت بهذا العلم وصنفت فيه ألا وهو المحدث والمؤرخ أبو شامة المقدسي، فأحاول من خلال هذا المقال تجلية جهوده في الكتابة التاريخية وما قدمه في هذا المجال، ومن هنا أطرح التساؤلات التالية: ماهي جهود أبي شامة في كتابة تاريخ المشرق الإسلامي؟ وماهي القضايا التي تضمنتها مصنفاته؟، وما هو المنهج الذي اعتمده في تمحيص الروايات التاريخية؟ وما القيمة العلمية التي تحظى بها مصنفاته في الدراسات التاريخية؟

1.التعريف بالمؤرخ أبي شامة المقدسي

هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقيّ، أبو القاسم شهاب الدين، أبو شامة المؤرخ، المحدث، أصله من القدس، ومولده 599هـ/ 1199م في دمشق، وبها منشؤه، ووفاته وكُني بأبي شامة لشامة كبيرة فوق حاجبه الأيسر، بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم ودراسة القراءات السبع والفقه، وبرع في النحو والحديث. عاصر أبو شامة فترة شهدت فيها بلاد الشام كثرة الاضطرابات والفتن بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي. ولما كانت الرحلة أمرا مرغوبا فيها لطلب العلم ولقاء الشيوخ هاجر إلى مصر سنة 628هـ /1245م،واجتمع بشيوخها في مصر والقاهرة ودمياط والإسكندرية، ثم أقام بدمشق، واشتغل بطلب العلم. وتولى مشيخة القراءة بالتربة الأشرفية، وعهد إليه بالتدريس في دار الحديث الأشرفية سنة 622هـ/1225م،وألقى دروسا في التاريخ بالجامع الأموي، ودرّس تاريخ دمشق لابن عساكر الدمشقي واختصره، وقرأ أيضا كتاب الروضتين (شاكر، 1974،جزء2 صفحة 270،الزركلي، 2002،ج.3صفحة 299، بدوي، دت.ط، صفحة 158)

2 .أبوشامة المقدسي وعلم التأريخ

إن الحديث عن التاريخ وأبي شامة نستهله بما أعرب عنه في مقدمة كتابة" الروضتين "،(أبو شامة 1997م، ج.1،صفحة.22): "أما بعد فإنّهُ بعد أَن صرفت جلّ عمري ومعظم فكري في اقتباس الفوائد الشّرعيّة واقتناص الفرائد الأدبية عنى لي أَن أصرف إِلَى علم التَّارِيخ بعضه،فأحوز بذلك سنة العلم وفرضه اقتداء بسيرة من مضى. "وذكر فوائد دراسة علم التاريخي،وأهميته إذ يطلعنا عن الأمم الماضية ،فيعتبر القارئ من دراسة أحوالهم وأسباب قوتهم وضعفهم ،ونجد أبا شامة قد أورد أحاديثا ونصوصا من القرآن الكريم تبيّن الغاية الشرعية من معرفة التاريخ والعناية به،ثم ذكر سبب اهتمامه بعلم التاريخ اقتداء بمن مضى مثل الإمام الشافعي الذي تعلم أَيّام النَّاس والأَدب عشرين سنة بغية الاستعانة بها على الفِقه.وفضلا عن ذلك أن القرآن الكريم تضمن أَخبار الأُمم السابقة لأخذ العبر مثل قوله تعالى :{وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ

أنباء الرسُل مَا نُثَبِّت بِهِ فُؤَادَك وَجَاءَكَ فِي هَذِه الْحق وموعظة وذكرى للْمُؤْمنين} سورة هود الآية: 120 – 123،وقَال سبحانه:{وَلَقَدْ جَاءَهم من الأنْبَاء مَا فِيهِ مزدجر حِكْمَة بَالِغَة فَمَا تغن النّذر} سورة القمر الآية: 1-5. واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم (حدثوا عَن بني إِسْرَائِيل وَلَا حرج). كل ذلك بين أنه انطلق في اهتمامه بالتاريخ لتحقيق غاية شرعية، ويواصل حديثه في هذا السياق مبرزا الآثار السلبية المترتبة عن عدم معرفة التاريخ، والإلمام بالأخبار، فيصبح طالب العلم لجهله لا يفرق بين صحابيّ وتابعي وحنفي، ومالكي، وشافعي، ولا بين خليفة، وأمير، وسلطان، ووزير ولا يعرف من سيرة نبيه صلى الله علَيهِ وسلم أكثر من أنه نبي مرسل وما إلى ذلك. (شامة، 1997،جزء 1، الصفحات، 24-25)

أ.مصنفاته التاريخية: شهدت الكتابة التاريخية تطورا عبر مختلف الفترات التاريخية، فبعد انتشار التدوين التاريخي في القرن الثاني الهجري كان المؤرخ في كتابته يعتمد إلى جانب الذاكرة والحفظ على الكتب التاريخية التي دونها المؤرخون السابقون، ثم لم يلبث المؤرخ أن تخلى تدريجيا عن طريقة الإسناد التي جعلت المؤرخ مجرد اخباري إلى الكتابة المرسلة التي تعتمد على مناقشة الخبر، وفي القرن السادس للهجرة حظي علم التاريخ باهتمام العلماء والمحدثين، ولم تشهد الكتابة التاريخية أيّ اهتمام قبل عصر الحروب الصليبية في بلاد الشام التي كانت خلال القرنين السادس والسابع الهجريين عرضة لتحديات الخطر الصليبي، وشهدت يومئذ انقساما سياسيا، كما أن هناك وسطا أدبيا مختلف انعكس على تنوع المصنفات التاريخية.(سالم، 2017، صفحة 78،السيد، 2020،صفحة 149)

وقد تطورت الكتابة التاريخية وتعددت منهجية التأليف بين التاريخ العام والتواريخ المحلية وتواريخ الدول والأسرات الحاكمة وتاريخ الخلفاء وتواريخ المدن وكتب الخطط وكتب التراجم، والشيء الملاحظ أن هذه المصنفات كُتبت في ظروف حرجة؛ مما يؤكد أنه رغم هذا الوضع المتوتر لم يتوقف النشاط العلمي، وتنوعت المصنفات العلمية في مختلف العلوم والفنون، وكان أبو شامة واحدا ممن صنفوا في علم التاريخ، ومن أشهر مصنفاته التاريخية "كتاب الروضتين في أخبار الدولتين الصلاحية والنورية "فقد تضمن هذا المصدر التاريخي الحوادث التاريخية لبلاد الشام والمشرق الإسلامي في عهد الدولة الزنكية والأيوبية، فكان أبو شامة أثناء دراسته للتاريخ استرعى انتباهه الجهود التي قام بها كل من نور الدين محمود وصلاح الأيوبي في بلاد الشام للتصدي للخطر الصليبي، فرأى أن عصره في حاجة ماسة للتأسي بسياسة هذين الرجلين، ولهذا ركز في هذا المصنف على ابراز شخصية نور الدين وصلاح الدين في فترة كانت بلاد الشام معرضة للغزو الصليبي هذا وأطلعنا على بعض الحوادث التاريخية مثل الإشارة إلى وفيات الأعلام. (السيد، 2020، صفحة 156،أبوشامة، عيون الروضتين في اخبار الدولتين، 2002، صفحة 53)،

وبالإضافة إلى ذلك أورد مشاركة المغاربة في مواجهة تحديات الخطر الصليبي؛ بحيث ذكر أن من قواد صلاح الدين الأيوبي الشيخ المغربي الذي ضرب الأسرى الصليبين لما حاصروا مدينة حماة[1] سنة 574هـ/1178م.وهذا ما سنفصل فيه في العنصر التالي .و" ذيل الروضتين" سمّاه ناشره "تراجم رجال القرنين السادس والسابع"، وطُبع في القاهرة سنة 1947 المعروف بالذيل على الروضتين وطبع عدة مرات ،وطبع بعنوان "المذيل على الروضتين تاريخ الدولة الأيوبية ما بعد صلاح الدين الأيوبي حتى دولة المماليك في عهد الظاهر بيبرس(590هـ/665"هـ،حققه وعلق عليه ابراهيم الزيبق. (شبل، 2013، صفحة 341،أبوشامة، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 1997،الجزء.3،صفحة15، الزيبق، 2010، الصفحات 455-456)

[1] – حماة: هي من المدن الكبرى في السورية اشتهرت بمساجدها ونشاطها العلمي (يحي الشامي، 1993م صفحة.54-55)

وقد ذكر في هذا المصنف معركة الزلاقة في 591هـ/1194م وعدها من المعارك العظيمة، ولكنه أخطأ؛ لأن معركة الزلاقة وقعت في 479هـ/1086م،وأما في سنة 591 فوقعت معركة الأرك وهذا يدل أن أبا شامة رغم عنايته بشكل كبير بتاريخ المشرق في العهد الزنكي والأيوبي إلا أنه ذكر بعض الحوادث عرضا من تاريخ المغرب الإسلامي.

وله أيضا "مختصر تاريخ ابن عساكر" خمس مجلدات، وكتابان في "تاريخ دمشق" أحدهما كبير في خمسة عشر جزءا والثاني في خمسة أجزاء. و"كشف حال بني عبيد "الفاطميين و"نزهة المقلتين في أخبار الدولتين" دولة علاء الدين السلجوقي، ودولة ابنه جلال الدين خوارزمشاه وبلغ فيه إلى حوادث سنة 1260/659م منه نسخة في خزانة محمد الطاهر بن عاشور، كتبت سنة 734هـ/1333م.وأوقف كتبه ومصنفاته جميعها في الخزانة العادلية بدمشق، فأصابها حريق التهم أكثرها، ولقب بأبي شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر (أبوشامة، 2010، المذيل على الروضتين تاريخ الدولة الأيوبية مابعد صلاح الدين حتى دولة الممالك في عهد الظاهر بيبرس 590-665هـ، ،ج.1،صفحة.62،الزركلي،2002،جزء3،صفحة،ج.3.صفحة.299، الزبيق، 2010،صفحة.411)

ولم يكن أبو شامة بعيدا عن ظروف عصره المتميز بتداعي الخطر المغولي الذي قضى على الدولة الخوازمية التي كانت سدا أمام ذلك الخطر، ودمر بغداد حاضرة الخلافة العباسية سنة656هـ/1258م، وعاث فيها فسادا، وأمام هذا الغزو الذي حل بالعالم الإسلامي انبرى أبو شامة في البحث عن الأسباب التي مكنت التتار من اختراق التحصينات الإسلامية، ولم يؤل جهدا في البحث عن كتاب "أخبار الدولة الخوارزمية" لشهاب الدين النسوي المسمى "سيرة السلطان جلال الدين منوكبرتي الذي كان مطلعا بخبايا هذه الدولة، فقام أبو شامة باختصاره بعد فراغه من كتاب الروضتين، وكان يهدف من هذين العملين ابراز مظاهر القوة والضعف؛ بحيث بيّن للقارئ حال الأمة في الشرق جراء سوء تدبيرها وسياستها ،وحال الأمة بتطبيقها للعدل في عهد نور الدين وصلاح الدين. وبهذه المقارنة يتضح الهدف المنشود الذي سطره أبو شامة. ويذكر الباحث السوري ابراهيم الزيبق أن لأبي شامة كُتبا تاريخية أخرى مفقودة وبعضها لم يفرغ من تأليفها حتى 659هـ/1260م مثل "مشكلات الأخبار"، وكتاب "جامع أخبار مكة" و"كشف حال بني عبيد". (الزيبق، 2010 ،صفحات.178 ،475،411)

ب.منهج أبي شامة في نقد الروايات التاريخية:

يُقصد بالنقد العلمي معرفة الصحيح من الزائف من الأخبار، وتمحيص الروايات التاريخية وقد ظهر مبكرا مع ظهور الرواية التاريخية، ولكنه لم يمارس قصد التميز الصحيح ومن الزائف إلا بعد انقسام المسلمين وظهور الفتن. وفي هذا السياق قال ابن سيرين: «كان في الزمن الأَوَّل النَّاس لا يسألون عن الإسناد حتَّى وقعت الفتنة ،فلَمّا وقعت الفتنة سألوا عن الإسناد ليحدّث حديث أهل السّنّة ويترك حديث أهل البدعة»(البغدادي،د.ت.ط، صفحة.122،فؤاد السيد،2020،صفحة.243،)

ومن ثمة أولى المؤرخون اهتماما كبيرا بالنقد التاريخي، واتبعوا عدة أساليب حتى تمكنهم من الوصول إلى الحقيقة التاريخية، ولكن الأسلوب الغالب في ذلك هو أسلوب المحدثين الذي يوصلهم للتمييز بين الحديث الصحيح والموضوع وهو يقوم أساسا على التجريح والتعديل[1]، ولهذا كانوا يتتبعون الرواة ويدرسون شخصياتهم من حيث تكامل صفاتهم الجسمانية وسلامة العقل وتوجهاتهم الفكرية والمذهبية. وإن الدارس لمنهج أبي شامة في الكتابة التاريخية من خلال مصنفاته يلحظ أنه لم يكن ناقلا للأخبار ومسلما بها من الوهلة الأولى، بل كان يناقشها ويصحح أخطاء المؤرخين السابقين بأسلوب علمي رصين، وهذا ما يدل على تطور منهج الكتابة التاريخية الذي كان يعتمد على الجمع دون تمحيص الروايات ونقدها. والشيء الملاحظ أن أسلوبه كان متنوعا حسب طبيعة الموضوع ونوع الخطأ، وفي هذا المقال سأذكر نماذجا من الروايات التي نقدها من خلال المصنفات التي اطلعت عليه، فعلى سبيل المثال وجدته استدرك على العماد الكاتب(ت.597هـ/1201م) قوله في الفقيه أبي علي بن رواحة أنه من أولاد عبد الله بن رواحة الصحابي الجليل، فرد أبو شامة أنه ليس من أولاده، ولكن يوجد في

[1] –الجرح والتعديل:هو علم يبحث في جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة ومتعارف عليها عند العلماء(فؤاد السيد،2020.صفحة244)

أجداده من اسمه رواحة. (الصباغ، 1980،صفحة.49، الزركلي،2002م،ج7.صفحة.26،أبوشامة، 1997،ج.4،صفحة98، الزيبق2010،صفحة.368)

ونقد المؤرخ ابن الأثير رغم أنه اعتمد عليه في أخبار أخرى وهذا ما ينهض دليلا أنه لا يُسلم بكل خبر حتى يمحصه ويقارنه بروايات أخرى حيث قال (أبوشامة، 1997م ج.1.صفحة.151): « وقد وهم(ابن الأثير) في قوله ألب أرسلان المعروف بالخفاجي، فالخفاجي غير ألب أرسلان على ما ذكره العماد الكاتب في كتاب السلجوقية[1]، وقد ذكر أنه كان مع زنكي ملكان من أولاد السُّلطان محمود بن محمّد بن ملكشاه أحدهما يُسمى ألب أرسلان وهو في معقل من معاقل سنجار والآخر يُسمى فرخشاه ويُعرف بالخفاجي الملك وهو بالموصل».

ومن خلال مصنفاته التاريخية نلحظ أن المؤرخ أبا شامة يتبع المنهج التاريخي في التعليل، فهو يورد الحوادث التاريخية، ثم يحاول البحث عن الأسباب الكامنة في وقوعها بعيدا عن العصبية والضغينة التي تنأى بالمؤرخ عن الحقيقة التاريخية والموضوعية التي يتطلبها المنهج العلمي. (الزيبق، 2010،صفحة.388-389)

ونقد ابن الأثير أيضا حين أورد أبياتا لابن منير في فتح بنياس، وعقب أبو شامة موضحا أن ابن منير توفي سنة 54هـ/1153م، وفتح بنياس كان في560هـ/1164م. (أبوشامة ، 1997م،ج.1.ص.483) وفي موضع أخر نقد ابن شداد[2] الذي ذكر أن صلاح الدين تسلم بيت المقدس في 27 من رجب وهذه الليلة توافق ليلة الإسراء والمعراج ، فرد أبو شامة أن ليلة الإسراء أُختلف فيها. وحين ذكر محمد بن القادسي في تاريخه أن صلاح الدين الأيوبي لما فتح القدس خطب على منبر المسجد الأقصى بنفسه، رد أبو شامة هذا الخبر، وفنده قائلا أبوشامة، 1997م،ج.3 ،صفحة376: «لم يكن صلاح الدين هو الذي باشر الخطبة». هذا كما فند ما قاله ابن شداد في فتح القدس أنه قد صُلّيت فيه الجمعة يوم فتحه وهذا لم يحصل بسبب ضيقه وصُلي فيه في الجمعة التي بعدها.(أبوشامة، 1997م،ج.3،صفحات.331، 386)كل ذلك يبين أنه اعتمد على مصادر متنوعة ولم يسلم بكل الأخبار التي تضمنها.

ومن خصائص منهجه أيضا أنه دائما يبحث ويتتبع الأسباب الحقيقية للحادث التاريخي بغية الوصول إلى تصور وتمثل الحقائق التاريخية كما حصلت بكل حيثياتها، ومن ذلك أنه أورد أن نور الدين أسقط المكوس لمنام رآه وزيره موفق الدين خالد بن القيسراني، لكنه لم يسلم بذلك بل نجده ساق أبياتا شعرية للواعظ نور الدين أبي محمد البحتري، ثم ذكر أن في الأبيات إشارة إلى المكوس التي يأخذها نور الدين من رعيته ولعل ذاك ما كان سببا في انهاء نور الدين لهذه المكوس والابتعاد عن الظلم، وفي هذا السياق أشار إلى المكوس التي ألغاها صلاح الدين في مكة، وأشاد بسياسته ونوه بإعجاب الرحالة ابن جبير، ونقل عنه أبياتا له يمدح فيها صلاح الدين:

رَفَعْتَ مَغَارِمَ مُكْس الْحِجَاز ... بإنعَامكَ الشَّامِلِ الغَامر

وَأمنتَ أَكنَافَ تِلْكَ الْبِلَاد ... فهان السَّبِيل على العَابر (أبوشامة، 1997، الجزء.1.صفحة .56، الجزء3.صفحة12)

[1] –السلاجقة مجموعة من القبائل الغز التركية تنسب إلى سلجوق بن دقاق،وهذا الأخير هو من قام بتوحيد هذه القبائل ،وانتقلت معه من سهوب تركستان موطنها الأصلي إلى بلاد ما وراء النهر، ثم اعتنقت الإسلام على المذهب السني ،واستقرت بنواحي سمرقند وبخارى في أواخر القرن الرابع الهجري، وقد كان لهذه القبائل دور في الدفاع عن العالم الإسلامي من الأخطار الداخلية والخارجية (أبو شامة ،2002م، صفحة.54)

[2] – أبو المحاسن ابن شداد (ت. 632هـ /1234 م): مؤرخ ،تولى القضاء في عهد صلاح ،من مصنفاته النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية في سيرة السلطان صلاح الدين، و" دلائل الأحكام –و " ملجأ الحكام عند التباس الأحكام "في القضاء و"فضل الجهاد"و"الموجز الباهر"في الفروع، وكتاب" العصا "وأسماء الرجال الذين في المهذب للشيرازي (الزركلي ،2002م،ج.8.صفحة.230)

ومن معالم منهجه نجده يعرض الحادث التاريخي ونتيجته ومثال ذلك ذكر أنه لما سلم الكامل بيت المقدس للفرنج في 626هـ/1228م؛مما أدى إلى توغر قلوب أهل دمشق عليه (أشامة، المذيل على الروضتين،تاريخ الدولة الايوبية مابعد صلاح الدين حتى دولة المماليك في عهد الظاهر بيبرس590-665هـ، 2010،الجزء.2،صفحة 9)

هذا ما يوضح منهج أبي شامة في الكتابة التاريخية وايراد الشواهد التاريخية والتعليل في الحقائق التاريخية التي يقرّرها.

وفي ترجمة الموفق الفقيه ابن قدامة (ت.682هـ/1283م) يشير إلى وهم الدبيثي لما ذكر مولده بقوله الدمشقي المولد، ولكن في الحقيقة الأمر أنه ولد في قرية جماعيل قرب نابلس، كما ذكر وهم ابن الجوزي(ت.597 هـ/ 1201 م) عند حديثه عن وفاة خوارزم شاه محمد بن تكش في 615هـ/1218م ،وقد توفي في 617هـ/1220م،وأشار أيضا إلى وهمه في سنة وفاة الوزير ابن شكر في 630هـ /1232م، والصواب أنه توفي في 622هـ/1225م. (الزركلي،2002م،الجزء.3.صفحات.329-316، الزيبق،2010،صفحات.425-426)

وفي مواضع أخرى وجدت أبا شامة يذكر الروايات التاريخية المختلفة ويترك القارئ بين اختلاف الروايات بدلا من ترجيحه لها بناء على ما توصل إليه من مادة علمية، ولا يترك القارئ في حيرة من أمره، ومن المعلوم أن جمع طرق الخبر أو الحديث والمقارنة بينها من أميز أساليب المحدثين في نقد الرواية ،فكان جمع الروايات ومقابلة بعضها يهدف أساسا للتمييز بين الصحيح منها والضعيف، وقد اعتمد المحدثون منذ وقت مبكر على طريقة المقارنة بين الروايات التي وردت عن حادث معين وهذا ما طبقه أبو شامة في مقابلة الخبر التاريخي مع روايات أخرى. (العمري،دت.ط،صفحة.13، الجوزي، 2013 ،ج.22،صفحة21)

ولكن مع ذلك لم يطبق هذا المنهج في بعض الروايات التاريخية، وتطرق إلى ذلك الباحث ابراهيم الزيبق في دراسته بأن أبا شامة لم يعقب، وينقد بعض الأخبار التاريخية التي أوردها ويغلب عليها المبالغة والتهويل، ومن ذلك ما ذكره عن سبط ابن الجوزي أنه لما تعرض إلى ما أصاب العراق من غرق بحيث يجد القارئ المدقق في الخبر أن وصف آثار ذلك فيه مبالغة إذ أكد أن بغداد انهدمت بأسرها وما إلى ذلك.

ونقد أيضا الخبر الوارد عن الدبيثي حين طعن في ابن المارسانية[1] لروايته عن أبيه، فذكر أن أباه لا يعرف الحديث ولا سمعه وكان قصده أن يقال عنه محدث بن محدث، وبين أبوشامه أن هذا غلو من قائله لا يلزم كونه عاميا أن يكون له سماع في صغره يوما ما، فلا يسمع قوله ولا سمعه فإنها شهادة على نفي.(الذهبي، 2006،الجزء.16،صفحة.185الزيبق،2010،صفحة427)

وناقش المؤرخ ابن أبي طي(ت.630هـ/ 1233م)[2] فيما أورده من خبر مفاده فتور العلاقة بين نور الدين وصلاح الدين الأيوبي، فعلّل ذلك الفتور بأنه طبيعة بشرية، كما علّل الاختلاف الذي حصل مرده إلى انكار نور الدين على صلاح الدين لإفراطه في تفرقة الأموال واستبدله بذلك من غير مشاورته، ثم ذكر سبب مبالغة وتحامل ابن أبي طي ومحاولته الطعن في نور الدين لنزعته المذهبية كونه على المذهب الشيعي، ومعلوم أن نور الدين كان قد أبطل شعارهم ونصر أهل السنة، وهذا ما يجلي قوة قريحة أبي شامة في استقرائه للخبر التاريخي وارجاعه إلى أسبابه الحقيقية، وهذا المنحى لا يستطيع أن يسلكه إلا من كان محيطا بحيثيات الرواية التاريخية سندا ومتنا، ويكون ذا ثقافة واسعة بخصوصيات وظروف العصر الذي يؤرخ فيه.(الزيبق،2010،صفحة.388)

---

[1] – ابن المار ستانية عبيد الله بن علي بن نصر بن حمرة، أبو بكر، فخر الدين المعروف بابن المارستانية وقيل له ابن المارستانية لأن أبويه كانا قيّمي المارستان(مستشفى)ببغداد وهو طبيب ومؤرخ من أهل بغداد.تولى النظر بالبيمارستان العضدي،ثم قبض عليه وحبس فيه سنتين،وأفرج عنه،من مصنفاته:ديوان الإسلام في تاريخ دار السلام وسير ة الوزير ابن هبيرة.(الزركلي،2002م ج.4 صفحة.195)

[2] –ابن أَبي طي ،أديب،ومؤرخ، شيعي من حلب من مصنفاته:المنتخب في شرح لامية العرب و" أخبار الشعراء الشيعة و"تاريخ مصر"و"مختار تاريخ المغرب"و" حوادث الزمان "خمس مجلدات،و"طبقات العلماء "و"سلاسل أو معادن الذهب في تاريخ حلب "و مناقب الأئمة الاثني عشر و"تاريخ الشيعة ".(الزركلي،2002،ج.8،صفحة.144)

وفي مواضع أخرى وظّف مرويات ابن أبي طي فهو ينتقي الأخبار، ويميز بين الصحيح والضعيف منها،وأثناء تتبعه للتراجم اعتمد على المنهج الحولي، فذكر بعض الحوادث المعلمية التي توافق تلك السنة، ففي 628هـ/1230م ذكر مثلا الغلاء بالديار المصرية وغيرها من الحوادث.(أبوشامة،2010 ،ج.2صفحة21)

واستخدم منهج الجرح والتعديل الذي يبين حال رواة الحديث فهو يبدي رأيه فيمن يترجم لهم، فمثلا قال في ترجمته لعبد المنعم بن علي الصقلي(ت622هـ/1225م): "كان رجلا صالحا خيّرا"(الزيبق،2010،صفحة.431أبوشامة،ج.1صفحة.383)وفي ترجمته لبدر المراغي الطويل(ت.602هـ/1205م) ذكر أنه كان قليل الدين تاركا للصلاة، وكان أبو شامة شديدا على من عرف بالزندقة والانحراف العقدي ،وفي ترجته لشهاب النقاش (656هـ/1258م) ذكر أنه كان ينكر النبوات، كما أنه لم يتوان في كشف من عرف بفساده العقدي، ومثال ذلك في ترجمته لابن البديع البندهي (ت.657هـ/1259م) ذكر أنه أفسد عقائد جماعة من الشباب، وتجاهر باستنقاص مكانة الأنبياء عليهم السلام وغير ذلك. (أبوشامة، المذيل على الروضتين تاريخ الدولة الأيوبية مابعد صلاح الدين حتى دولة الممالك في عهد الظاهر بيبرس 590-665هـ،حققه علق عليه ابراهيم الزيبق، 2010،ج.2،صفحات،171،135،130)

ومن خلال المعطيات السابقة يمكن القول أن مصنفاته التاريخية كانت استجابة لظروف العصر الذي عاش فيه فهو عصر متميز بالاختلافات والصراعات الداخلية وتداعي الخطر المغولي، ومن ثمة اتخذ أبو شامة من هذه المصنفات وسيلة لنشر الوعي والبحث عن أسباب القوة واستعادة مجد الأمة، هذا ما يفسر انشغاله واهتمامه بالتاريخ، كما نسجل أن المنهج الذي اعتمده قائم على تقصي الحوادث التاريخية من عدة مصادر؛ مما جعل مصنفاته حافلة بالروايات التاريخية المتنوعة التي نقلها وهذا يبين مدى التزامه بالأمانة العلمية واستفادته من علم الحديث في نقده للروايات التاريخية، كما تميزت مصنفاته بتطبيق النقد التاريخي ومناقشة بعض الروايات، وتصويب أخرى ويؤكد ذلك أن أبا شامة كانت له خبرة بالكتابة التاريخية وطريقة جمع المادة وترتيبها وتنسيقها وطرحها بأسلوب مشوق.

ومن الملاحظات التي تسترعي الذكر أن مصنفاته في مجملها تضمنت جانبا من التاريخ السياسي والحضاري لبلاد المشرق الإسلامي في العصر الأيوبي والمماليك، كما تعرض لتراجم الأعلام من المشارقة، وتحدث عن الغزو المغولي وهذا ليس غريبا لكون أن أغلب عناوين مصنفاته التاريخية تحمل مواضيع وقضايا مشرقية.

ولكن مع هذا اهتم أبو شامة ببلاد الغرب الإسلامي، بحيث تطرق لبعض الحوادث، وأطلعنا عن تراجم بعض علماء المغاربة الذين هاجروا إلى بلاد الشام وهذا يوثق في الحقيقة التواصل الحضاري الذي كان قائما بين المشرق وبلاد الغرب الإسلامي. فترجم لبعض فقهاء المالكية منهم أبو الحسن على المراكشي (ت.625هـ/1227م)الذي كان مقيما بالمدرسة المالكية، وزين الدين بن يحي معطى النحوي (ت.628هـ/1230م) إذ ذكر أن هذا الأخير توفي بالقاهرة وهو بها، وحضر جنازته وهذا ما بين مدى أهمية الخبر التاريخي لكونه كان معاصرا لهؤلاء العلماء وقريبا منهم، وترجم للقاضي أبي مروان الباجي الذي قدم دمشق سنة 634هـ/1236م)،وتوجه إلى المدرسة العادلية واستفاد أبو شامة من علمه، والمحي بن سراقة المغربي(ت.662هـ/1263م) الذي تولى دار الحديث الكاملية بالقاهرة.(أبو شامة ،2010،ج.2 صفحات.38،37،23،7، 197)

وأما في الجانب السياسي فقد أورد نصوصا توثق طبيعة العلاقات بين المغرب والمشرق وهذا ما تجلى واضحا في مشاركة المغاربة في الحروب الصليبية ،ومن ذلك رثاء أحد الشعراء المغاربة وهو أبو الحكم المغربي(ت.549هـ /1154م) لعماد الدين بقصيدة منها:

عين لَا تذخري الدُّمُوع وبكي ... واستهلي دَمًا على فقد زنكي)

لم يهب شَخصه الرَّدى بعد أَن كَانَت ... لَهُ هَيْبَة على كل تركي (خلكان، 1900.الجزء.3،صفحة.125، (أبوشامة، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 1997،الجزء.1،صفحة.166)

وذكر أيضا عبد السلام المغربي الذي كان قائدا للأسطول الإسلامي وأسره الصليبيون(أبو شامة،1997،الجزء.3.صفحة412).وفي هذا السياق تطرق أبوشامة إلى جانب من العلاقات بين الموحدين وصلاح الدين الذي كان قد أرسل في سنة586هـ/1190م سفيرا وهو الأمير ابن منقذ إلى خليفة المغرب يعقوب المنصور الموحدي يطلب منه المساندة بالأساطيل لصد خطر الصليبيين، وعدم تمكينهم من الشام، ورغم ما قيل أن المنصور رفض هذا الطلب بسبب عدم تلقيب صلاح الدين للمنصور بأمير المؤمنين، فقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن المنصور أرسل لصلاح الدين مائة وثمانين سفينة لمساعدة الجيش الإسلامي. وأشار في موضع آخر إلى أبي الحجاج المغربي الفندلاوي شيخ المالكية الذي شارك في التصدي للصليبين في بلاد الشام رغم كبر سنه، فقتل هو وزاهد دمشق عبد الرَّحمن الحلحولي سنة 543هـ/1148م. (شبل2013صفحة.337، أبو شامة، 1997، الجزء.1، صفحة.190، الذهبي، 2006، ج.15، صفحة.48)،وهذه الشواهد التاريخية تبرز مدى مساهمة المغاربة في مواجهة تحديات الغرب الصليبي.

خاتمة :

في نهاية هذا المقال نستخلص عدة نتائج نوجزها فيما يلي:

– أن المحدث أبا شامة ساهم في كتابة تاريخ المشرق الإسلامي لاسيما فترة الحروب الصليبية والغزو المغولي، فهو مصدر لا يمكن الاستغناء عن مصنفاته؛ لأنه كان معاصرا ومتأثرا بظروف عصره متفاعلا معها وهذا ما تجلى واضحا في مصنفاته، كما يعد مصدرا لغيره المؤرخين مثل الذهبي وغيره.

– عناية المحدثين والفقهاء بكتابة التاريخ الإسلامي، وكان أبو شامة نموذجا للمدرسة التاريخية الشامية في عصر الحروب الصليبية، فهو شاهد على عصر تميز بالانقسامات والنزاعات بين القوى الإسلامية وتداعي الأخطار الخارجية، ومن ثمة جاءت مصنفاته التاريخية هادفة واستجابة لطبيعة الظروف التي تمر بها بلاد الشام والعالم الإسلامي على ووجه العموم، ولتكون دافعا لاستنهاض الهمم ودفع الأمة لاسترجاع مجدها.

– كانت جهوده في الكتابة التاريخية ليست محصورة في تقصي وتتبع الأخبار التاريخية من مضامينها، فحسب بل كان ناقدا ومقارنا للروايات التاريخية ببعضها البعض للوصول إلى الحقيقة التاريخية وهذا من مظاهر تطور مناهج الكتابة التاريخية في ذلك العصر، كما كان يعلق ويبدي رأيه في الكثير من القضايا وهذا يوضح مدى تطبيقه لأساسيات المنهج التاريخي وشخصيته العلمية بارزة، ونستخلص أيضا أن منهجه انتقائي؛ لأنه اختار بعض الحوادث التاريخية التي ميزت عصره.

– تضمنت مصنفاته التاريخ السياسي والحضاري لبلاد المشرق الإسلامي بصفة عامة إلا أنه ضمنها بعض الحوادث المعلمية في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

–كشفت مصنفاته عن حقائق تاريخية وصفحة مشرقة من تاريخ التواصل بين المشرق والغرب الإسلامي خلال عصر الحروب الصليبية.

– يجد القارئ في مصنفاته التاريخية إشارات ذكية توحي بأهمية التاريخ لاستلهام العبر والدروس من الأمم السابقة والدول المتعاقبة.

ومما نوصي به في نهاية هذا المقال بضرورة الاهتمام بدراسة علماء المسلمين الذين اهتموا بالكتابة التاريخية والتعريف بهم ،وابراز منهجهم ومدى مساهماتهم في تطور الكتابة التاريخية حتى يستفيد الخلف من جهود السلف.

المصادر والمراجع

أ.المصادر:

1.البغدادي أبو بكرأحمد بن علي بن ثابت الخطيب.(د.ت.ط) *الكفاية في علم الرواية*،المحقق :أبو عبد الله السورقي وغيره،المكتبة العلمية المدينة المنورة

2.الذهبي شمس الدين أبوعبد الله بن قايماز (2006) .*سير أعلام النبلاء*،دار الحديث، القاهرة

3.سبط ابن لجوزي شمس الدين أبو المظفر (2013) *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*،ط.1،تحقيق وتعليق:محمد بركات وأخرون.

4.ابن خلكان أبو العباس (1900) .*وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* ،تحقيق، *إحسان عباس* ،دار صادر بيروت.

5. ابن شاكر محمد (1974) .*فوات الوفيات*،المحقق احسان عباس،ط.1،دار صادر بيروت

6.أبوشامةأبو القاسم شهاد الدين(2010) .*المذيل على الروضتين تاريخ الدولة الأيوبية مابعد صلاح الدين حتى دولة الممالك في عهد الظاهر بيبرس 590-665هـ*،حققه علق عليه *ابراهيم الزيبق*،دار الرسالة العلمية بيروت

7.أبوشامةأبو القاسم شهاد الدين (2002) .*عيون الروضتين في اخبار الدولتين* .بيروت :دار الكتب العلمية.

8.أبوشامةأبو القاسم شهاد الدين .(1997) .*عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية* .بيروت، مؤسسة الرسالة.

ب.المراجع

1.بدوي أحمد (دت.ط) .*الحياة العقلية في عصرر الحروب الصليبية في مصر والشام* .مصر، مكتبة النهضة.

2. الحلاق حسان(2007). تاريخ العلوم والتكنولوجيا عند العرب دار النهضة العربية ط.1،لبنان

3.الزيبق ابراهيم (2010) .*أبو شامة مؤرخ دمشق في عصر الأيوبيين 599هـ1203/م665-هـ1 267*

4.الزركلي خير الدين(2002) . *الأعلام، ط.5* ،دار العلم للملايين بيروت.

5.سالم عبد العزيز (2017) .*التاريخ والمؤرخون*،*مؤسسة* شباب الجامعة.

6.السيد أيمن فؤاد(2020) . *الكتابة التاريخية ومنهج النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمي*،*ط.2* الدار المصرية

7.الشامي يحي(1993).موسوعة المدن العربية والاسلامية،ط.1،دار الفكر العربي،بيروت

8.شبل سمير صبري (2013) .*الأنظمة المشرقية والمغربية في العصر الأيوبي* .مؤسسة شباب الجامعة.

9.الصباغ ليلى (1980) .*دراسة في منهجية البحث التاريخي* .مطبعة خالد بن الوليد

10.العمري *ضياء العمري* (د.ت.ط) .*مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الإخباريين* .مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

Sources and references

A.Sources

1.Al-Baghdadi Abu Bakr Ahmad ibn Ali ibn Thabit al-Khatib(n.d.). Al-Kifaya fi Ilm al-Riwayah, edited by Abu Abdullah al-Suwarqi and others, Al-Maktaba al-Ilmiyyah, Medina .

2 .Al-Dhahabi Shams al-Din Abu Abdullah ibn Qaymaz (2006). Biographies of Noble Figures. Dar al-Hadith: Al-Hadith, Cairo

3 .Ibn Khallikan, Abu Al-Abbas. (1900). Deaths of Notables and News of the Sons of the Time, edited by Ihsan Abbas, Dar Sadir, Beirut.
4.Ibn Shaker Muhammad. (1974) Deaths of Obituaries, edited by Ihsan Abbas, 1st ed. Beirut: Dar Sadir
.
5. Abu Shama, Abu al-Qasim Shihab al-Din (2010). An Appendix to the Two Gardens: The History of the Ayyubid State after Saladin until the Kingdom State during the Reign of al-Zahir Baybars 590-665 AH. Edited and annotated by Ibrahim al-Zaybaq, Dar al-Risala al-Ilmiyyah, Beirut
6. Abu Shama, Abu al-Qasim Shihad al-Din (2002). The Springs of the Two Gardens in the News of the Two States. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah.
7 .Abu Shama, Abu al-Qasim Shihad al-Din (1997). The Springs of the Two Gardens in the News of the Two Nuri and Saladin States. Beirut: Dar al-Risala Foundation
8. Subt Ibn Lajuzi. Shams al-Din Abu al-Muzaffar (2013). Mirat Al-Zaman fi Tawarikh Al-A'yan, 1st ed., edited and annotated by: Muhammad Barakat and others

B.References:

1.Badawi Ahmed (n.d.). Intellectual Life in the Era of the Crusades in Egypt and the Levant. Egypt: Al-Nahda Library
2.Al-Hallaq Hassan (2007). History of Science and Technology Among the Arabs. Dar al-Nahda al- Arabiya, 1st ed., Lebanon 3.Al-Zibaq Ibrahim (2010). Abu Shama, Historian of Damascus during the Ayyubid Era 599 AH/1203 AD-665 AH

4.Al-Zirkali Khair al-Din (2002). Al-A'lam, 5th ed., Dar Al-Ilm Lil-Malayin, Beirut
5. Salem Abdel Aziz. (2017). History and Historians, Shabab Al-Jami'a Foundation.
6.Mr. Ayman Fouad (2020). Historical Writing and the Method of Historical Criticism Among Muslim Historians. 2nd ed., Dar Al-Masryia
7.Al-Shami Yahya (1993). Encyclopedia of Arab and Islamic Cities, 1st ed., Dar Al-Fikr Al-Arabi, Beirut
.
8. Shabl Samir Sabry (2013). Eastern and Western Regimes in the Ayyubid Era. Shabab Al-Jami'a Foundation
.
9.Al-Sabbagh Laila (1980). A Study in the Methodology of Historical Research. Khalid bin Al-Walid Press
.
10.Al-Omari Diaa Al-Omari (n.d.). Narrations of the Prophet's Biography between the Rules of Hadith Scholars and Narrations of Akhbariyyin. King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an, Medina
.